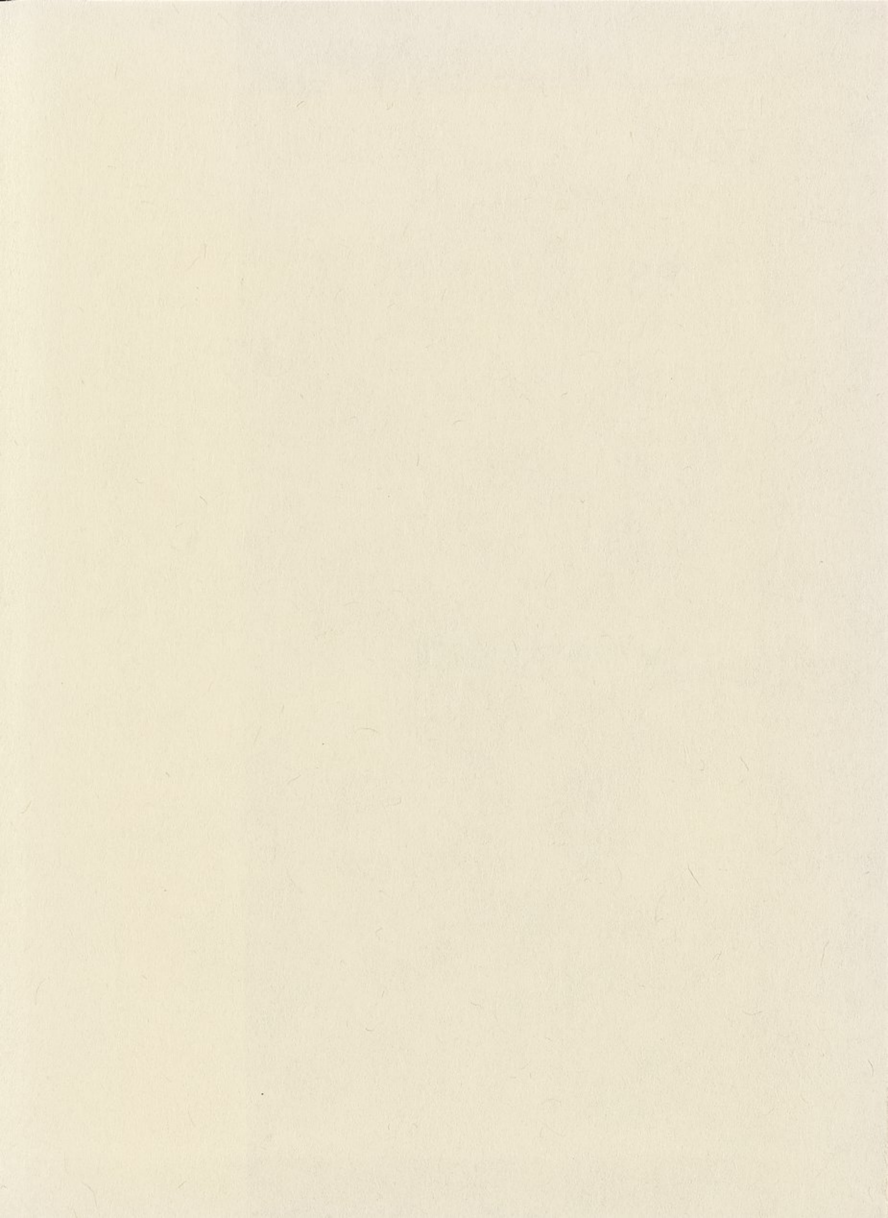
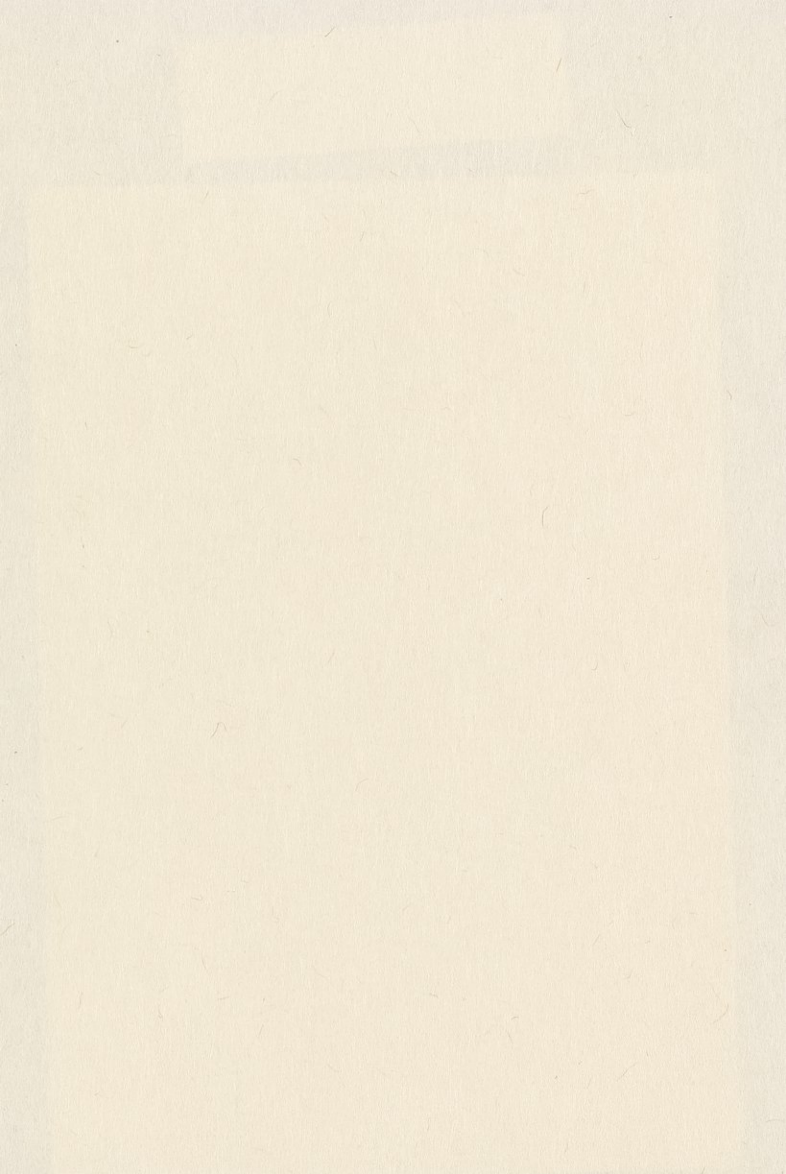





PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY
PAIR>
32101 014068801



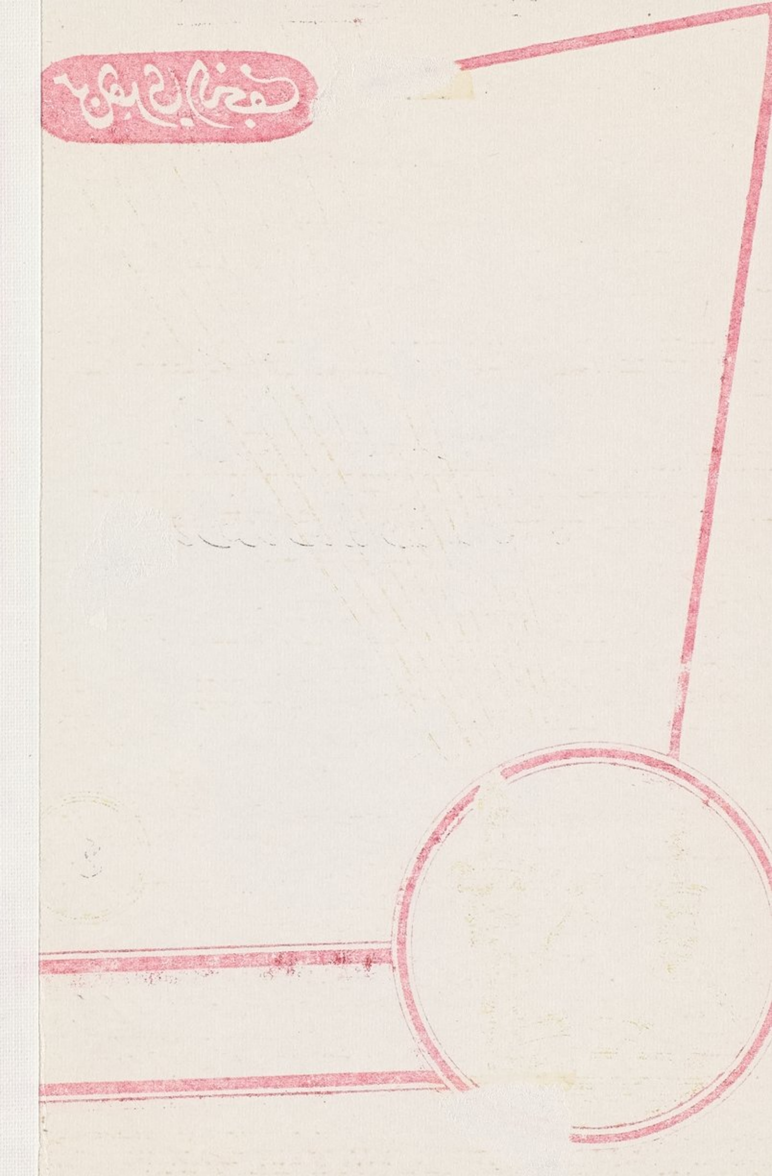
من هدي النجف

ثورة الحسين عليه السلام

في الواقع التاريخي والوجدان الشعبي

٤

محمد مهدي شمس الدين



Shams al-Din

من هدي النجف

- ٤ -

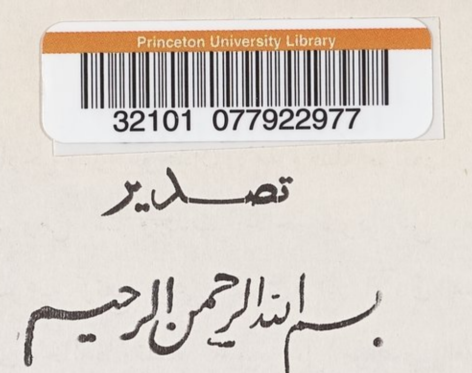
ثورة الحسين عليه السلام

في الواقع التاريخي والوجدان الشعبي

محمد مهدي شمس الدين

مطبعة الآداب في النجف الأشرف

١٣٩٠ هـ



ان الحمد لله نحمده ونستعينه ونتوكل عليه ونصلي ونسلم على خاتم الأنبياء وسيد المرسلين محمـــد وعلى آله الهداة المعصومين .

هذا هو العدد الرابع من سلسلة (من هدي النجف) نقدمها لقـــرائها عن ثورة الحسين (ع) بمناسبة ذكرى استشهاده ، ورغبة منها في مشاركة الامة في هذه الذكرى المريرة المؤلمة ، ووفاقـاً لخطتها في استخدام عنصر الزمن - ما أمكن - في تناول موضوعاتها ، ليكون القارىء الكريم أكثر تفاعلا مع الموضوع ومعايشة له .

وموضوع الذكرى الحسينية هو بلا ريب من أكثر

المناسبات التاريخية اثارة لوجدان الامة وصلة بواقعها وتأثيراً في حياتها ، ومن هنا وجدت الحاجة للتوفر على معالجته معالجة موضوعية ترتفع بوعي القارىء الى الآفاق الفسيحة لهذه الذكرى الخالدة وتفتح عينيه على مواضع العظة والعبرة فيها .

ونقدر ان معالجة مثل هذه لاتنحصر معداتها في المقدرة على التحليل التاريخي المجرد والوصف العلمي الدقيق للظواهر الاجتماعية فحسب بل تتعدى ذلك الى الايمان الواعي والعقلية الحية المتفتحة والروح الجهادية المشتعلة بهموم الاسلام .

ولم يطل تقلب السلسلة بين الكتاب والمؤلفين للقيام بهذه المعالجة فاستاذنا الشيخ المؤلف هو خير من يحمل هاتين الصفتين معاً ـ لانقول ذلك مجاملة ولكن لنقرر به حقاً ـ فهو بحاثة معروف بدراسته المعمقة في مجال التاريخ

الاسلامي ، وقد مارس تدريس مادته لسنوات عديدة حينما كان استاذاً في كلية الفقه . كما انه يعد من كتاب الفكرة الاسلامية المرموقين . ومقالاته الكثيرة التي نشرها في هذا الميدان خير شاهد على عمقه وأصالة فكره ، كما أنها تشكل احدى مآثره الجمة وخدماته الكثيرة في مجال الارشاد والتبليغ.

وهذا العدد هو احدى محاضراته التي القاها في (النادي الحسيني لجمعية هونين الخيرية ببيروت) وقـد كتبنا الى سماحته في الاستيذان بطبعه فتفضل بالاذن بذلك .

فباسم قرائنا الاعزاء نتوجه اليه بخالص الشكر والتقدير

المشرفون

كلمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

نسأل : مامعنى ان نطلق صفة الخلود على إنسان من الناس ، أو حدث تأريخي من أحداث الناس ، أو رائعة من روائع العقل الانساني ؟

ونجيب : أن نستشعر الحاجة اليها باستمرار ، أو بين الحين والآخر ، نعود الى الانسان الخالد فنقرأ ، أونسمع أو نرى تاريخه ، ونستعيد حياته . ونعود الى الحدث الخالد فنسترده في عقولنا وقلوبنا ، ونثري به حياتنا ، ونغني به

وجودنا ، ونضيء به وبصانعيه دروبنا ، ونعود الى روائع القريحة الانسانية فنروي بها قلوبنا الظمأى .

ونسأل : كيف ، ولماذا كتب الخلود لبعض الناس أو الأحداث ، أو الروائع ؟

ونجيب : لأنها تشتمل على الحقيقة الحية الدائمة ، فثمة من الأشخاص والأحداث والآثار مايشتمل على الباطل وعلى الزيف وعلى الافتعال ، وهذا لايدوم إلا ريثما ينكشف ومنها مايشتمل على حقيقة محدودة ، وعمره محدود ، بعمر محتواه في حياة الناس . . ومنها مايشتمل على الحقيقة الحية الدائمة ، التي تتصل بالتكوين الدائم للعقل والقلب ، وهذا يكون خالداً باستمرار ، لأنه يلبي حاجة دائمة في قلب الانسان وعقله ، في مطامحه وآماله الكبار .

وهو مايصدق بدقة عجيبة على الحسين وثورته : على الحسين في الخالدين من الناس ، وعلى ثورته في الخالدات

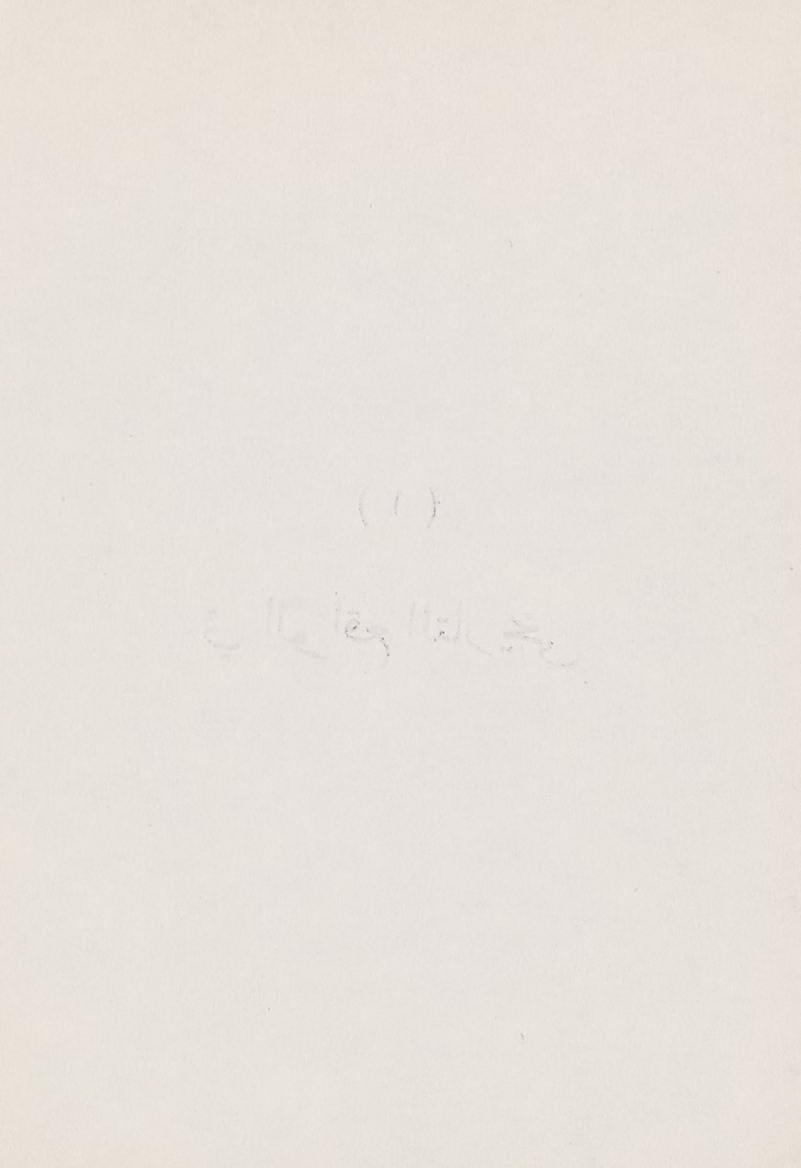
من الأحداث .

ومن هنا عودتنا الى الحسين والى ثورته باستمرار :
عودتنا اليه في جميع مراحل حياته ، وعودتنا اليه في الذروة من هذه الحياة ، وهي ثورته ، نستعيدها ونتفهمها ونعايشه في مراحلها ، من بدايتها الى نهايتها الدامية المشرفة وننفعل بها ، لأننا بعد ان اكتشفناها اكتشفنا أنفسنا فيها ، اكتشفنا فيها أجزاء من قلوبنا ، ومن مطامحنا ، ومن انسانيتنا ، وسمعنا منها أكثر من نداء يهتف بأنبل مايشتمل عليه تكويننا الانساني . . بعد ان اكتشفناها على هذا النحو غدونا نشعر بالجوع اليها ، بالحاجة اليها . . .

فلنحاول جميعاً الآن ، ونحن نعيش في ظلال ذكراها في الزمان ، أن نتلمسها في التاريخ ، وأن نتلمسها في الوجدان الشعبي :

(١)

في الواقع التاريخي



كان المسلمون قد واجهوا الحكم الأموي بالغضب والسخط ، وأدركوا فوراً بُعدَ هذا الحكم عن الخط الاسلامي الصحيح . . وذلك حين افتقدوا فيه الروح الاسلامية التي ألفوها في الخلفاء السابقين ، إذ اكتشفوا أن الخلافة الاسلامية قد تحولت الى ملك أموي .

ولأضع أمامكم صورة غنية ببعض التفاصيل ، أذكر لكم الرأي الذي تبناه الدكتور حسن ابراهيم مدير جامعة اسيوط في كتابه « تاريخ الاسلام ١ ـ ٢٧٨ ـ ٢٧٩ » قال :

« اعتبر المسلمون انتصار بني امية ، وعلى رأسهم معاوية انتصاراً للارستقراطية الوثنية التي ناصبت الرسول

وأصحابه العداء ، والتي جاهدها رسول الله حتى قضى عليها ، وصبر معه المسلمون فقضوا عليها ، وأقاموا على أنقاضها دعائم الاسلام ، ذلك الدين السمح الذي جعل الناس سواسية في السراء والضراء ، وأزال سيادة رهط كانوا يحتقرون الفقراء ويستذلون الضعفاء ، ويبتزون الأموال لذلك لاندهش إذا كره المسلمون بني أمية ، وغطرستهم وكبرياءهم وإثارتهم للأحقاد القديمة ، ونزوعهم للروح الجاهلية ، ولاسيما أن جمهور المسلمين كانوا يرون بين الأمويين رجالا كثيرين لم يعتنقوا الاسلام إلا سعياً وراء مصالحهم الشخصية » .

هذا هو التشخيص التاريخي لما حدث حينذاك .

ولكن الحكم الجديد استطاع شيئاً فشيئاً أن يقيم جهازاً محكماً - بوليسياً وإعلامياً - يعمل باتقان تام على تبديد النظرة التي وجه بها النظام ، ليحل محلها نظرة جديدة ، ويعطي

النظام صفة الشرعية التي نزعها المسلمون عنه .

وقد استخدم هذا الجهاز في تبديد قوة الخصوم المعارضين باثارة الصراع القبلي على أوسع نطاق ، وإرهاب المعارضة بالقتل ، والمطاردة ، وهدم البيوت ، وقطع الأرزاق من بيت المال ، وكل وسيلة تجعل المعارضة في حالة رعب مستمر .

حتى تهجير السكان على نطاق واسع استخدم في هذا السبيل ، فقد حمل زياد بن سمية - والي العراق - خمسين ألفاً من الكوفيين وأجبرهم على النزوح من الكوفة الى خراسان ، وبذلك حطم المعارضة في الكوفة وخراسان معاً .

ولعل أخطر ماحدث هو سياسة التخدير الديني التي كان الهدف منها التغلب على الشعور المعادي بسلاح الدين نفسه ، والتوصل الى تحطيم مالأهل البيت من سلطان روحي على المسلمين عن هذا الطريق أيضاً .

وقـــد حفظ لنا التاريخ بعض الأسمـاء البارزة من الصحابة والتابعين عملوا على ايجاد تبرير ديني لسلطان بني أمية ، أو الأقل لكبح الجماهير عن الثورة برادع داخلي هو الدين نفسه ، ليعمل مع الروادع الخارجية : التجويـع ، والارهاب ، والانشقاق القبلي والعنصري .

هذا ، بالاضافة الى مهمة أخرى ألقيت على عاتق هؤلاء الأشخاص ، وهي اختلاق الأحاديث التي تتضمن الطعن في أهل البيت ونسبتها الى النبي (ص) .

وأذكر لـــكم حديث العجاج نموذجـاً من أحاديث التخدير الديني التي اختلقها جهاز معاوية الاعلامي ونسبها الى الدين :

حـــدث العجاج قال : (قال لي أبو هريرة : ممن أنت ؟ قال قلت : من أهل العراق . قال : يوشك أن يأتيك بقعـان أهل الشام فيأخذون صدقتـك ، فاذا أتوك

فتلقهم بها ، فاذا دخلوها فكن في أقاصيها ، وخل عنهم وعنها ، وإياك أن تسبهم ، فانك ان سببتهم ذهب أجرك وأخذوا صدقتك ، وان صبرت جاءتك في ميزانك يوم القيامة) .

وثمة ركام من أمثال هذا الكذب الذي يدعو المسلمين الى الخضوع لأمرائهم الظالمين ، ويحرم عليهم الثورة والاحتجاج على هؤلاء الامراء وحتى نقدهم . وقد دأب المأجورون من الوعاظ والمحدثين على نفث هذه السموم في قلوب الجماهير المسلمة وعقولها ، هادفين الى حجزها عن التذمر والثورة بحاجز ينسبونه الى الدين والدين منه برىء .

عشرون عاماً تقريباً مرت على المسلمين وهم يحكمون بهذا الأسلوب ، ويخضعون لهذا التوجيه ، حتى شلت فيهم كل قدرة على الاحتجاج والثورة . وعن هذا الطريق استطاع معاوية أن يسبغ على نظامه شرعية مزيفة ، وفي

ظل هذه الشرعية جاء يزيد بن معاوية خليفة لرسول الله صلى الله عليه وآله وأميراً للمؤمنين .

وقد صور لنا عبـد الرحمن بن همام السلولي نظرة المسلمين الى خلافة يزيد في الأبيات المعبرة :

فإن تأتوا برملة أو بهند   نبايعها أميرة مؤمنينـا
إذا مامات كسرى قام كسرى   نعد ثـلاثة متناسقينـا
فيالهفا لو ان لنا أنوفـاً   ولكن لانعود كما عنينـا
إذاً لضربتموا حتى تعودوا   بمكة تلعقون بها السخينا
خشينا الغيظ حتى لو شربنا   دماء بني امية ماروينـا
لقد ضاعت رعيتكم وأنتم   تصيدون الأرانب غافلينا

بهذا السخط المكبوت بعوامل القمع المادي والتخدير الديني واجه المسلمون خليفتهم الجديد ، وعند هذه المرحلة من التبدلات السياسية والاجتماعية والانسانية في المجتمع وجد الحسين نفسه يواجه ـ وحيداً ـ دوره التأريخي الصعب :

الحكم الأموي بكل مايحفل به من فساد وظلم ، وبكل مايعد به عهد يزيد من تحريف للاسلام ، واستهتار به وتسخير له في خدمة الشهوات والمآرب ، هذا من جهة .. والأمة المسلمة بذلها ، وتصدعها ، وحرمانها ، وانطفاء القدرة على التغيير فيها من جهة أخرى .. ومركزه العظيم في المسلمين الذي يجعله على يقين بأن حكم يزيد لن ينال صفة الشرعية إذا وقف ضده ، أما إذا بايعه فانه يكون قد أكسب الغل الجديد الذي طوقت به الأمة المسلمة صفته الشرعية ..

وقد استجاب الحسين بدوره التاريخي ، وبدأ ثورته في كلمات بسيطة ، واضحة وحاسمة ، ووجهها الى والي المدينة الوليد بن عتبة ، وذلك حين قال له :

« .. انا أهل بيت النبوة ، ومعدن الرسالة ، ومختلف الملائكة ، بنا فتح الله وبنا ختم ، ويزيد فاسق ، فاجر ،

شارب الخمر ، قاتل النفس المحترمة ، معلن بالفسق والفجور ومثلي لايبايع مثله » .

ولكن علينا أن نعلم أن الحسين أعلن ثورته في مجتمع خامد متخاذل ، فقد حرارته وفعاليته واندفاعه . لقد كان قادة المجتمع وعامة أفراده إذ ذاك يقعدون عن أي عمل ايجابي لتطوير واقعهم السيء ، بمجرد أن يلوح لهم ماقد يعانون في سبيل ذلك من عذاب ، وما يضطرون الى بذله من تضحيات . وكانوا يقعدون عن القيام بأي عمل ايجابي بمجرد ان تحقق لهم السلطة الحاكمة بعض المنافع القريبة .

ولم يكن هذا خلق السادة وحدهم ، بل كان خلق عامة الناس أيضاً . لقد كان أولئك الذين قالوا للحسين « قلوب الناس معك ، وسيوفهم عليك » صادقين الى حد بعيد في تصوير ذلك المجتمع ، فان قلوب الناس كانت معه لأنهم يحبون ان يصيروا الى حال أحسن من حالهم ، ولكنهم

حين علموا أن ذلك موقوف على بذل تضحيات قد تصل الى بذل الحياة انكمشوا ، ووضعوا سيوفهم في خدمة السلطة الأموية التي تدفع لهم اجر قتالهم لهذا الذي جاء بدعوة منهم ليحررهم من تلك السلطة .

فحين استيقن ابن زياد ان الحسين ماض في ثورته جمع الناس في مسجد الكوفة ، خطبهم ، ومدح يزيد واباه ووعد الناس بتوفير العطاء لهم ، وزادهم في اعطياتهم مائة مائة ، وأمرهم بالاستعداد والخروج لحرب الحسين .

في مجتمع كهذا ثار الحسين . .

وهنا نتساءل : كيف يسير انسان الى الموت مع طائفة من اخلص اصحابه طائعاً مختاراً ، وكيف يحارب في سبيل قضية يعلم انها خاسرة ؟ وكيف يمكن لعدوه من نفسه

هذا التمكين ؟ . .

إن علينا لكي نفهم ثورة الحسين ان نبحث عن أهدافها ونتائجها في غير النصر الآني الحاسم ، وفي غير الاستيلاء على مقاليد الحكم والسلطان .

فان النصوص المتوفرة لدينا تدل بصراحة على أن الحسين كان عالماً بالمصير الذي كان ينتظره ، لقد كان يجيب من ينصحونه بالمهادنة والسكون ويخوفونه من الموت بأمثال قوله : « لقد غسلت يدي من الحياة وعزمت على تنفيذ امر الله » .

إذن فأين نجد أهداف ثورة الحسين ؟ الذي اعتقده هو ان وضع المجتمع الاسلامي اذ ذاك كان يتطلب القيام بعمل انتحاري فاجع يلهب الروح النضالية في هذا المجتمع ويتضمن اسمى مراتب التضحية ونكران الذات في سبيل المبدأ ، لكي يكون مناراً لجميع الثائرين حين تلوح لهم

وعورة الطريق ، وتضمحل عندهم احتمالات الفوز ، وترجح عندهم أمارات الفشل والخذلان .

ان المجتمع الذي خضع طويلا لتأثير التخدير الديني ، والقمع المادي لايمكن ان يصلح بالكلام ، فهو آخر شيء يمكن ان يؤثر فيه . .

ان الكلمة لايمكن ان تؤثر شيئاً في النفس الميتة والقلب الخائر ، والضمير المخدر .

كان لابد لهذا المجتمع من مثال يهزه هزاً عنيفاً ، ويظل يواليه باتجاهاته المتلهبة ليقتلع الثقافة العفنة التي خدرته ، وقعدت به عن صنع مصير وضاء . وقد كان كل ذلك وكانت ثورة الحسين .

لقد أراد الحسين أن يكشف لمجتمعه عن بؤس الواقع وإفلاسه ، وعن أخطار المستقبل وأهواله ، وان يبرهن على صدق رؤيته للحاضر والمستقبل بتضحيته الفريدة ،

ليجعل من القضيـة شيئاً يتوهج في ضمير الأمة وقلبها ، ويذيب بحرارته ونقائه كل الخبث الذي ترسب في اعماقها فيردها الى طهارتها ، ويرد اليها شخصيتها الأصيلة الضائعة فتواجه واقعها بالأسلوب الوحيد الصحيح : نبذ التحريفية الدينية التي انتهجها الأمويون ، والثورة .

فهل تحقق هذا الهدف ؟

نعم ، لقد تحقق . لقد حطمت ثورة الحسين الاطار الديني الـذي أحاط الأمويون به حكمهم ، لقـد انتزعت مرة واحدة وإلى الأبد الشرعية المزيفة التي كان الحـكم الأموي يتستر وراءها ، وظهر للأعين المدهوشة على حقيقته البشعة : حـكماً بربرياً ، جاهلياً ، بعيـداً عن الاسلام ، لايتورع عن شيء في سبيل تحقيق اهدافه ومقاصده .

وقد كانت الثورة عاملا حاسماً في تعاظم التيار الاسلامي المبرأ من الانحراف والتزوير بما كشفت من تحريفية الحكم

الاموي ولا شرعيته ، ومن ثم لااسلامية الخط الذي يمثله .

وبشرت الثورة بأخلاق جديدة تمثل الأخلاق الاسلامية الانسانية ، وذلك حين دعت - بسلوك ابطالها وقائدها - الى التلاحم المطلق مع العقيدة ، وذلك بممارستها بصدق وإخلاص على صعيد الحياة العامة ، وعلى صعيد الناس العاديين ، ومصالح الامة .

وقد ترتب على كل ذلك ، وغيره مما نذكره ، انبعاث الروح النضالية متوهجة عنيفة .

لقد أججت ثورة الحسين النضالية التي حاول الأمويون إخمادها في الامة ، وبقيت مستمرة تعبر عن نفسها دائماً في انفجارات ثورية عاصفة ضد الحاكمين الظالمين ، وكانت الثورات تفشل دائماً ، ولكنها لم تخمد أبداً ، لأن الروح النضالية كانت باقية تدفع الأمة الى الثورة ، والى التمرد والى التعبير عن نفسها قائلة للطغاة : إني هنا .

حتى جاء العصر الحديث ، وتعددت وسائل القمع والاخضاع ، وحكمت الأمة بطغمة لاتستوحي مصالحها وانما تخدم مصالح آخرين، ومع ذلك لم تهدأ ولم تفلح في اخضاعها وسائل القمع الحديثة ، وانما بقيت ثائرة ، فأثبتت وجودها ، ولم يجرفها التاريخ ، وانما بقيت لتصنع التاريخ .

ولا ندري تماماً ماذا كان سيحدث لو لم يقم الحسين بثورته هذه ، غير اننا نستطيع ان نحدس ذلك الآن . لقد كان يحدث أن يستمر الحكم الأموي داعماً نفسه بالدجل الديني ، وبفلسفة التواكل ، وبالقمع المادي . وكان يحدث أن تستحكم هذه الفلسفة وهذا الدجل الديني في الشعب فيطأطىء الشعب دائما لحاكميه ، ويستكين الحاكمون لموقف الشعب منهم فيلهون ، ويضعفون عن القيام بأعباء الحكم وصيانة الدولة ، ويغرقون في اللهو والترف . وعاقبة ذلك هي الانحلال : انحلال الحاكمين والمحكومين . وكان

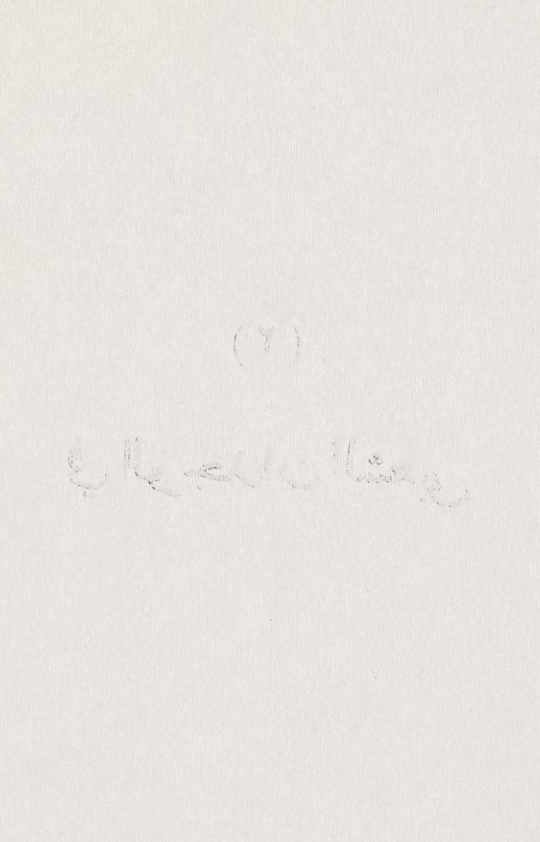
يحدث ان يكتسح البلاد الفاتحون فلا يجد ونمقاومة ولا نضالا ، بل يجدون انحلالاً من الحاكمين والمحكومين ، ثم يجرف التاريخ أولئك وهؤلاء .

ولكن ماحدث غير ذلك . لقد انحل الحاكمون حقاً وقد اكتسحت الدولة حقاً ، ولكن المحكومين لم ينحلوا ، بل ظلوا صامدين .

وكان ذلك بفضل ثورة الحسين .

(٢)

في الوجدان الشعبى


(٧)

علينا حين نريد أن نتقصى ثورة الحسين في الوجدان الشعبي أن نذكر : أولاً المسارب التي دخلت منها هذه الثورة الى الوجدان بهذا العمق والشمول ، وثانياً العوامل التي طورتها وصعدتها في هذا الوجدان :

أما عن المسارب التي دخلت منها الثورة فيبدو لي أنه يمكن تلخيصها في الامور التالية :

١ ـ الجانب العقيدي :

فثورة الحسين ـ كما رأينا من خلال عرضنا التاريخي لها ـ اسلامية عامة ، تمت بدوافع إسلامية لغاية تنبيه الأمة على واقعها السيء ، ودفعها الى تحسينه عن طريق إثبات شخصيتها الاسلامية .

ومن هنا فهي ليست تراثاً مذهبياً للشيعة ، ولا يجوز

أن تكون كذلك . وصبغتها المذهبية جاءت نتيجة لعوامل تاريخية ليس هنا مجال البحث عنها .

٢ ـ دعوة أهل البيت وتشجيعهم على ذلك :

فقد حرص أئمة أهل البيت على ابقاء الثورة وتفاصيلها الفاجعة حية في الذهنية العامـة للامة ، وذلك عن طريق التشجيع على قول الشعر وإنشاده فيها ، وعقدهم المجالس الخاصة لسماع هذا الشعر .

وسنوضح أبعاد هذه الدعوة ودوافعها بصورة اكـثر تفصيلا .

٣ ـ الولاء وطبيعة المأساة :

لقد كانت الثورة من بدايتها حتى نهايتها فاجعة تثير

الشجن والأسى العميق ، وقد كان الولاء لأهل البيت

والتعلق بهم يدفع الى التعلق بذكرياتهم وإحيائها :

فمن جاذبية المأساة الخارقة ، ومن دفع الولاء والحب

والاحترام إلى تذكرها .. غدت المأساة عنصراً أساسياً في

الثقافة التاريخية العامة عند الانسان المسلم بوجه عام والشيعي

بوجه خاص .

* • *

وأما عن العوامل التي صعدت ثورة الحسين في الوجدان

الشعبي وطورتها في المظاهر الاحتفالية والآثار الفنية ، وخاصة

في الشعر ، فيمكن اجمالها في ثلاثة امور :

الأول - ولاء الشيعة لأهل البيت على أساس انهم

الممثلون الاكثر أمانة واخلاصاً وفهماً للاسلام .

الثاني - نفسية الانسان الشيعي التي تكونت بسبب

ماعاناه عبر التاريخ من اضطهاد بسبب موقفه من بعض

الأحداث التاريخية ، وبسبب اتجاه العقيدي والفقهي ، وما أدى اليه هـذا الوضع من تأجيج روح الثورة على الواقع البعيد من تعاليم أهل البيت عليهم السلام .

الثالث ـ موقف السلطات الحاكمة في العصور التاريخية ـ بعد ثورة الحسين ـ من إحياء ذكراه ، وزيارة قبره .

هذه في رأيي العوامل الأساسية ذات التأثيرفي كينونة ثورة الحسين في الوجدان الشعبي ، وسنتعرف على مدى مساهمـــة كل واحد منها عند ماندرس ثورة الحسين في الوجدان الشعبى عبر مظهرين :

١ ـ المظاهر الاحتفالية (مجالس الذكرى) .

٢ ـ ظاهرة البكاء .

١ - مجالس الذكرى

لقد بدأت تظهر آثار ثورة الحسين في الوجدان الشعبي في شعر الرثاء لشهداء الثورة ، وفي شعر الندم والتوبة من اولئك الذين قعدوا عن مناصرة الثورة أوساهموا في الحرب ضدها .

وقلة الآثار التي ترجع الى الحقبة الأولى بعد الثورة تعود - في رأيي - الى الخوف من اضطهاد الأمويين الذين شنوا حملة واسعة النطاق لحصر أثر الثورة في حيز ضيق وذلك بعد أن اكتشفوا خطر التفاعلات التي أطلقت الثورة عقالها .

ولكن نشوب الثورة في الحجاز ضد الحكم الأموي وامتدادها الى العراق وغيره ، وانطلاق الاعمال الانتقامية ضد الأمويين واعوانهم ، اطلق فيضاً من الشعر الرثائي لثوار كربلاء .

ويبدو لي أنه في هذه المرحلة بالذات بدأت المآتم الحسينية بشكل بسيط ، ولابد أنها بدأت على شكل اجتماعات صغيرة يعقوها نفر من المسلمين الناقمين ـ من اتباع أهل البيت وغيرهم ـ في بيت احدهم ، فيتحدثون عن الحسين وعما جرى عليه ، وينتقدون السلطة التي حاربته ، وامتدادها القانوني المتمثل في السلطـة المعاصرة لهم ويتبرؤون منها ، وربما تناشدوا شيئـاً من شعر الرثاء الذي قيل في الثورة وفي بطلها وقتلاها .

وقــد تطورت هذه المآتم عبر العصور ، فمرت في ادوار متميزة حتى انتهت الى ايامنا هذه على الشكل الذي تقام به الآن ، وسنعرض لهــذه الأدوار فيما بعد ، انما الذي نريد ان نوضحه الآن هو العوامل التي أنشأتها ، واعطتها قوة الاستمرار الى الآن ، وهي عدة امور :

الأول ـ الانفعال العفوي بالمأساة ، وهـذا الانفعال

في رأينا هو المسبب لكثير من مظاهر الذكرى الحسينية فقد اشتملت ثورة الحسين على احداث تبعث على الحزن العميق ، والأسى البالغ .

الثاني ـ انها ثورة اسلامية ، وقد رأى كثير من الناس في إحياء ذكراها وتمجيـــد ابطالها تمجيداً للاسلام الذي جاهدوا من اجله وقتلوا في سبيله .

الثالث ـ ان الثورات التي انفجرت ضـــد الحكم القائم بعد انبعاث الروح النضالية التي أحيتها ثورة الحسين قد استعملت هذه الثورة كعامل من عوامل الاثارة وحشد الجماهير ، وجعلتها مناراً وشعاراً .

وقد كان هذا عاملا هاماً في اعادة إحياء هذه الثورة في قلوب الناس وعقولهم ، ولا يقتصر هـذا على العصر الأموي وحـده ، بل حتى في العصر العباسي في ثورات بني الحسن ، كان يبدو للناس وكأن روح كربلاء هي التي

تحرك هؤلاء الثائرين .

الرابع - تشجيع أئمة أهل البيت على إحياء هذه الذكرى ، وحثهم على نظم الشعر وإنشاده في شأنها ، وعقدهم لمجالس الذكرى في بيوتهم ، واستقبالهم للشعراء وسماعهم لهم .

وقد تعاظم تركيز الأئمة على هذا منذ عهد الامام الباقر والصادق عليهما السلام ، ومن الأسماء البارزة في هذا المجال الكميت بن زيد الأسدي ، والسيد الحميري ، وجعفر ابن عفان ، ودعبل الخزاعي وغيرهم .

واعتقد أن التفسير الصحيح لحث أهل البيت على إحياء الذكرى يرجع الى أن احياء هذه الذكرى يكشف للناس باستمرار عن الخط الذي انتهجه اهل البيت في حماية الاسلام والدفاع عنه ، وعن طبيعة القوى التي تناهضهم ومدى بعدها عن الاسلام ، وتبين ان جوهر الصراع يرجع

الى العقيدة ذاتها والى الأمانة في تطبيق الشريعة الاسلامية باخلاص في الحياة اليومية ، فمجرد احياء الذكرى واستعراض أحداثها يتضمن ادانة للحكم القائم المنحرف ، لأنه الاستمرار القانوني للحكم الذي أدى انحرافه الى ثورة الحسين وقتله .

وتومي‌ء كلمة الامام الصادق للفضيل بن يسار بصراحة الى هذا المحتوى للذكرى .

قال له : يافضيل تجلسون وتتحدثون ؟ قال : نعم سيدي . قال : يافضيل هذه المجالس أحبها ، أحيوا أمرنا رحم الله امرأ أحيى امرنا .

هذا هو التفسير الصحيح لمحتوى دعوة أهل البيت الى إحياء هذه الذكرى ، أما المحتوى العاطفي بوجه خاص فأعالجه عند الحديث عن (البكاء) .

الخامس ـ إن الذكرى الحسينية بحكم طبيعتها من جهة وبحكم ما تحمله من إدانة صريحة للحكم المنحرف ، وبحكم

توجيه أهل البيت لها في هذا السياق ، قد غدت في عصور كثيرة وسيلة من وسائل المعارضة المستترة للحكم القائم .

فالانسان الشيعي - في ظل الحكم - يعاني من أمرين : الأول انه مضطهد ومطارد بسبب عقيدته ، والثاني انه تعلم من منهاج أهل البيت أن الاسلام عقيدة وشريعة متكاملة ، ولهذا فهو لايقبل التزوير بحال من الأحوال .. فوضعه الحياتي وخطه الفكري وضعاه في مركز المعارضة وقد كانت الذكرى الحسينية تحقق له ممارسة المعارضة المستترة ضد الحكم في نطاق آمن نسبياً ، وتحقق له أيضاً راحة نفسية بسبب ما يتاح في الذكرى من أمثلة الأسوة الحسنة بأهل البيت وتضحياتهم .

السادس - رد الفعل ضد الطغاة من الحكم . ادرك الحكام الطغاة منذ العهد الأموي ماذا تعينه إقامة الذكرى من ادانة لتجاوزاتهم وتصرفاتهم وظلمهم ، فحاولوا

الوقوف في وجهها وقمعها ، نجد هذا في العصر الأموي في موقف هشام بن عبدالملك من الكميت الأسدي وغير ذلك ، ونجد هذا في العصر العباسي في شواهد كثيرة منها موقف المتوكل الذي اراد ان يجتث عوامل الاثارة بوسيلة وحشية فظة ، وذلك بأمره الذي أصدره بهدم قبر الحسين وما حوله من المنازل وحرثه واجرى عليه الماء ، ومنع الناس من إتيانه ، ونادى صاحب شرطته : من وجدناه عند قبره بعد ثلاثة أيام بعثنا به الى المطبق .

وفي العصور التالية لاحق العثمانيون هذه المآتم ومنعوا من اقامتها في احيان كثيرة ، فكانت تقام سراً . وفيما بعد عهد العثمانيين لوحقت هذه المآتم ، ومنعت السلطة منها في بعض الأحيان ، وقيدتها بقيود كثيرة ثقيلة في احيان اخرى ، لأجل إفراغها من محتواها النقدي للسلطة القائمة .

هذا الموقف من السلطة ضد المآتم كان دائم ولا يزال يولد رد فعل لدى الانسان العادي فيدفعه الى التشبث بها ولعل شعور الانسان العادي حينئذ هو أن السلطة تريد أن تجرده من ملاذه الوحيد الذي ينفس فيه عن عاطفته ، وكبته النفسي ، ومعارضته .

هذه هي في رأينا العوامل التي ساهمت في وجود المأتم الحسيني واستمراره عبر العصور .

* * *

وقد مر المأتم الحسيني منذ أنشىء حتى الآن في ثلاثة أدوار :

الدور الاول ـ من مرحلة مابعد الثورة الى سقوط بغداد أو قبله بقليل .

الدور الثاني ـ من سقوط بغداد ، وطيلة العصور المظلمة الى العصر الحديث .

الدور الثالث - بدايات العصر الحديث الى الآن .

وفي هذه الأدوار الثلاثة يوجد عنصر ثابت في محتوى المأتم الحسيني ، وتوجد عناصر متغيرة :

أما العنصر الثابت فهو استعراض المأساة ، وذكر تفاصيلها ، ونقد السلطه القائمة حيث تكون مبررات النقد موجودة ، إما صراحة ، وإما بالملازمة .

وقد كانت الذكرى في الدور الأول تتم كما ذكرنا بشكل ساذج وبسيط ، ثم تطورت خلال هذا الدور تطوراً شكلياً وكمياً ، أما من الناحية النوعية ، فقد كان العنصر الأساسي فيها هو ذكر المأساة والافاضة في تفاصيلها ، وتلوينها عن طريق الأعمال الشعرية الأولى في هذا الباب هذا بالاضافة الى نقد السلطة والبراءة من أفعالها ، وإدانة الجريمة ومرتكبيها ، واعتبار السلطة الراضية بالفعل السابق والتي تقطف ثمراته ، وتسير على المنهاج الذي ادى اليه

شريكة في الاثم والجريمة .

واظن أن الفقه السياسي يساعدنا في هذه المسألة ، ليس من ناحية عنصر العقوبة ، وإنما من ناحية عنصر الشجب ، وتحمل مسؤولية تصحيح الأوضاع التي أدت إلى الجريمة .

المأساة ونقد السلطة حيث تكون مبررات النقد موجودة هما عنصران المأتم الثابتان منذ بداياته الأولى في القرن الهجري الأول وحتى الآن . وأما العنصر المتغير في المأتم الحسيني فنستطيع ان نرصده ونكتشفه من خلال تطور الشعر الحسيني الرثائي عبر العصور .

بعد ان كان محتوى المأتم الحسيني يقوم على عنصري المأساة ونقد السلطة ، دخل فيه منذ سقوط بغداد أوقبله وحتى فترة العصور المظلمة عنصر جديد هو عنصر الوعظ مع التركيز على المأساة .

لقد تأثر المأتم - كأي ظاهرة اجتماعية ثقافية - بالجو العام : الانحلال السياسي والاجتماعي ، والتخلف الاقتصادي والحروب الأهلية ، ونمو تيار التصرف المرضي .

ونتيجة لهـذا التأثر دخل عنصر الوعظ في المأتم ، الوعظ السلبي الخاطيء بوجه عام ، الذي يدعو الى الانصراف عن العمل الحياتي ، ويرفض العالم . . ويصور لنا البيت التالي هـذه الفكرة ، اذ يدمج الموقف السلبي من الحياة بالمأساة الحسينية :

أترجو الخير من دنياً أهانت حسين السبط واستبقت يزيدا

لقد استمر هذا الموقف - فيما يبدو - طيلة فترة القرون المظلمة ، وساعد على استمراره الحكم العثماني وجوره ، وفي هذه المرحلة دونت كتب المقاتل ، وهي التي تتحدث عن مقتل الامام الحسين وصحبه .

من هـذا الدور انتقل المأتم الى دوره الثالث ، وهو الدور الذي نعايشه الآن . وقد غدا المأتم الحسيني يشتمل

الى جانب عنصر المأساة ، ونقد السلطة على العناصر التالية :

أولاً - لم تعـد المأساة تشكل عنصراً نهائياً في المأتم وان كانت لاتزال عنصراً رئيسياً فيه .

ثانياً - غدا المأتم يشتمل - غالباً - على عرض تاريخي يحيط ثورة كربلاء بعواملها التاريخية في حدود سعة وعمق الثقافة التاريخية للخطيب .

ثالثاً -- احتلت الدراسات الاسلامية ، والدعوة الى الاسلام مركزاً مهما جداً في المأتم الحسيني ، بحيث غدت مقياساً تعتمد عليه الجماهير في الاقبال على المأتم وانكفائها عنـه .

رابعاً - غدا المأتم الحسيني مناسبة مهمة لمعالجة الامراض الاجتماعية ومظاهر الانحطاط ، والدعوة الى اصلاحها على ضوء التوجيه الديني .

ان المأتم الحسيني الآن ، في أفضـل حالاته ، وحين

يقوم به غير الجهلة المتطفلين عليه يعتبر في رأيي مؤسسة من اعظم المؤسسات خيراً وبركة ، بما يقوم به من دور فعال في التثقيف والتوعية ، وفي الكشف عن تراثنا الفكري والحضاري ، وفي التوجيه الاسلامي الصحيح إزاء المشاكل الفكرية والعقيدية الغريبة عن تراثنا وعن حضارتنا .

وإذا كان من الحق أن نعترف بأن ماطرأ من تطورات اجتماعية وحضارية وثقافيـة في العقود الأخيرة من السنين قد ساهم في تطوير المأتم الحسيني ، فان من الحق أيضاً أن نعـترف بأن جهوداً كثـيرة بذلت في هذا السبيل في مجالات التأليف والتوجيه والدراسة الواعية لحاجات العصر والاستجابة لها .

فلا يسع مهتماً بدراسة هذه المسألة أن يغفل جهود المقدس السيد محسن الأمين رحمه الله الذي ساهم قلمه الشريف مساهمة فعالة في تطوير المأتم الحسيني من بعض الجهات ،

ولا يسع باحثاً أن يغفل أثر كتابه « المجالس السنية » في هذا الباب .

وقد ساهمت مؤسسات ثقافية ومعاهد علمية في العراق وايران وغيرهما في انجاح عملية التطور .

٢ - ظاهرة البكاء

ظاهرة البكاء مثار نقد كثير. ومع أنها ليست ظاهرة منفصلة عن المأتم الحسيني إلا أني آثرت إفرادها من ناحية منهجية ، وذلك لتسهل ملاحظتها وفهمها .

ولعل الموضوعية تقضي علينا أن نسميها ظاهرة الحزن في المأتم الحسيني والذكرى الحسينية فالحزن أعم من البكاء ومن يحزن ربما يبكي وربما لايبكي . من أجل فهم هذه الظاهرة في ذاتها أولاً ، ومن أجل فهم مدلولها التاريخي ثانياً ، نقول :

نحن في ذكرى الحسين نواجه مسألة تاريخية نقرأها أو نسمعها ، وعند هذه الحقيقة نوجه سؤالا حاسماً :

كيف نكتب التاريخ وكيف نرويه؟ كيف نكتب وكيف نروي تاريخ الانسان الذى يحب ويبغض - مثلنا نحن الأحياء - والذي يخيب وينجح - مثلنا - والذي يمتلىء

قلبه بالحزن والفرح - مثلنا - والذي توجهه التحـــديات العظمى فلا يفر منها ، ولا يحتال عليها ، بل يثبت لها ، والذي تحل به الكوارث العظمى فيوجهها ببطولة اسطورية في التاريخ ، تاريخ الانسان كيف نكتبه وكيف نرويه ؟ هل نكتبه كما نكتب تقريراً عن الوضع الاقتصادي ؟ هل نكتب تاريخ الانسان كما نكتب تاريخ طبقات الأرض أو تاريخ المتحجرات ؟ هل نحول التاريخ الى جداول احصائية وعمليات تحليل للارقام ودلالاتها ؟ أم نكتب التاريخ ونرويه فنصور به حياة الانسان المكون من لحم ودم ، وطموح وأمل ، وحب وبغضـاء ، وبطولة وخسة ، من عواطف سامية وشهوات حقيرة .. وبكلمة واحدة : تاريخ الانسان ؟!

لا أتوهم أن باحثاً عالمـــاً وأميناً يسمح لنفسه أن يقول : لا .. وأن يزعم ان علينا أن نكتب التاريخ ونرويه بلغة الأرقام .

واذا كان التاريخ يكتب ويروى باعتباره تاريخ الانسان فلنسأل : كيف نقرؤ التاريخ وكيف نسمعه ؟ هل نواجهه بعقل بارد وقلب بارد ؟ هل نمنع انفسنا من الفرح حين تنفعل بالفرح ؟ وهل نمنع انفسنا من الحزن حين تشعر بالحزن ؟ وهل نمنع انفسنا من الاشمئزاز حين تشعر بالاشمئزاز ؟

لا أظن ان انساناً عالماً وأميناً يرضى لنفسه ان يقول هذا .

نحن وجميع الناس في الازمان والأوطان يكتبون التاريخ ويروونه ، ويسمعون التاريخ ويقرأونه ، فينفعلون بما يسمعون ويقرأون : يحزنون أو يفرحون ، يعجبون او يشمئزون وقد يتعاظم انفعالهم فيبتسمون ، او تجري من عيونهم دموع الحزن والفخر والاعجاب .

دعونا من التاريخ ، حين نقرأ أو نسمع القصة الجيدة

أو القصيدة الجيدة ، او المسرحية الجيدة ألا تنفعل قلوبنا بما نقرأ أو نسمع ؟

من كل هذا يتبين لنا تفاهة كل النقد الذي يقال عن مظاهر الحزن في المأتم الحسيني ، وسطحية النظرة التي تعالج بها هذه المسألة .

إننا في المأتم الحسيني نسمع تصويراً تأريخياً لفاجعة لم يشهد لها التاريخ مثيلا ، قتل فيها أشخاص مقدسون ، وارتفعوا إلى اعلى المراتب الانسانية بذلا وتضحية وفداء في عملية عطاء محض ، وقتل فيها اطفال ونساء ، عطشى غرباء متوحدين ، وحملت رؤوسهم ، وسبيت نساؤهم .. كل هذا ليس من أجل اشخاصهم وانما من أجل امتهم وعقيدتهم ، امتهم التي نحن منها ، وعقيدتهم التي نعتنقها فمن حقنـــا - كبشر اسوياء - ان نحزن ، وان نعجب ، وان نشكر . وقد يتعاظم بنا الحزن فنبكي دموع الحزن

والاعجاب وعرفان الجميل .

يبقى علينا الكشف عن المداول التاريخي لهذه الظاهرة وهو يتجلى لنا بوضوح اذا لاحظنا ان الأئمة أهل البيت كانوا هم قادة الدعوة الاسلاميـــة ، والقيادة المعارضة للانحراف في فهم الاسـلام وتطبيقـه ، وكانوا بالمرصاد دائماً لكل انحراف وتجاوز يصدر عن السلطة الحاكمة وما اكثر انحرافها وتجاوزاتها . . ومن هنا فقد كان موقفهم يضعهم دائما في موضع المعارض الصامد ، وكان رد فعل السلطة هو العنف والملاحقة والاضطهاد على أئمـة اهل البيت وعلى اتباعهم .

وقد بلغ الاضطهاد من السعة والشمول في بعض الأحيان انه كان يتعدى اشخاص الأئمة وأسرهم ليشمل جميـــع العلويين ، وذلك كالذي فعله المتوكل - فيما يحدثنا به ابو الفرج الاصبهاني في مقاتل الطالبيين « فقد كان المتوكل

لايبلغه ان أحداً بر أحداً من آل أبي طالب بشيء وان قل الا أنهكه عقوبة واثقله غرماً ، حتى بات القميص يكون بين جماعة من العلويات يصلين فيه واحدة بعد واحدة ثم يرفعنه ويجلسن على مغازلهن عواري حواسر » .

واذن فنحن امام عقيدة مضطهدة ، تلاحق في اشخاص قادتها واتباعها بشكل وحشي يضطرهم الى اخفاء عقيدتهم حفاظاً على حياتهم .

ومن الامور الواضحة اجتماعياً ونفسياً ان القناعة الفكرية وحدها بالعقيدة لاتقدم ضمانة كافية للثبات والصمود امام الأخطار العظيمة ، والاضطهاد العنيف الذي يستمر قروناً بعد قرون .

ان العنف المدروس المستمر ، والاضطهـــاد الذي لايتورع عن شيء ، سرعان مايحطم التماسك عند الجماهير حول العقيدة التي لايتاح لهذه الجماهير أن تتصل بقادتهـا

بحرية وأمان ، ولا يتاح لها دائماً أن تضل على اتصال تام بأفكار العقيدة ومواقفها ، ولا يتاح لها ان تمارس حياتها علناً وفقاً لعقيدتها .

إذا أدخلنا في حسابنا ان المسلم الشيعي العادي كان لا يبدو أمامه أمل بانفراج قريب ، وعلينا أن ندخل في حسابنا ان اضطهاد الشيعة في التاريخ لم يتوقف بصورة نسبية إلا في العقود الأخيرة من السنين .

وتلاحظ أن ثورة كربلاء المجيدة تمثل ذروة موقف المعارضة الذي قاده أهل البيت ضد الانحـــراف في فهم الاسلام وتطبيقه ، فهي نتيجة سلسلة من المواقف السابقة ، وفاتحة سلسلة من المواقف التالية ، وهي شخصيتها المتميزة تكشف بوضوح مطلق عن طبيعة الصراع بين أهل البيت وبين خصومهم ، وعن أهداف هذا الصراع ، وهي غنية الى درجة مطلقة بعناصر النبل الانساني والاثارة العاطفية .

فمن أجل أن يبقى الشيعة على صلة حية بالأفكار والمبادىء الأساسية للصراع بين أهل البيت وبين خصومهم.

ومن أجل أن يكون لديهم - باستمرار - مثل أعلى خارق السمو للتضحية والفداء في سبيل الحق والعدل.

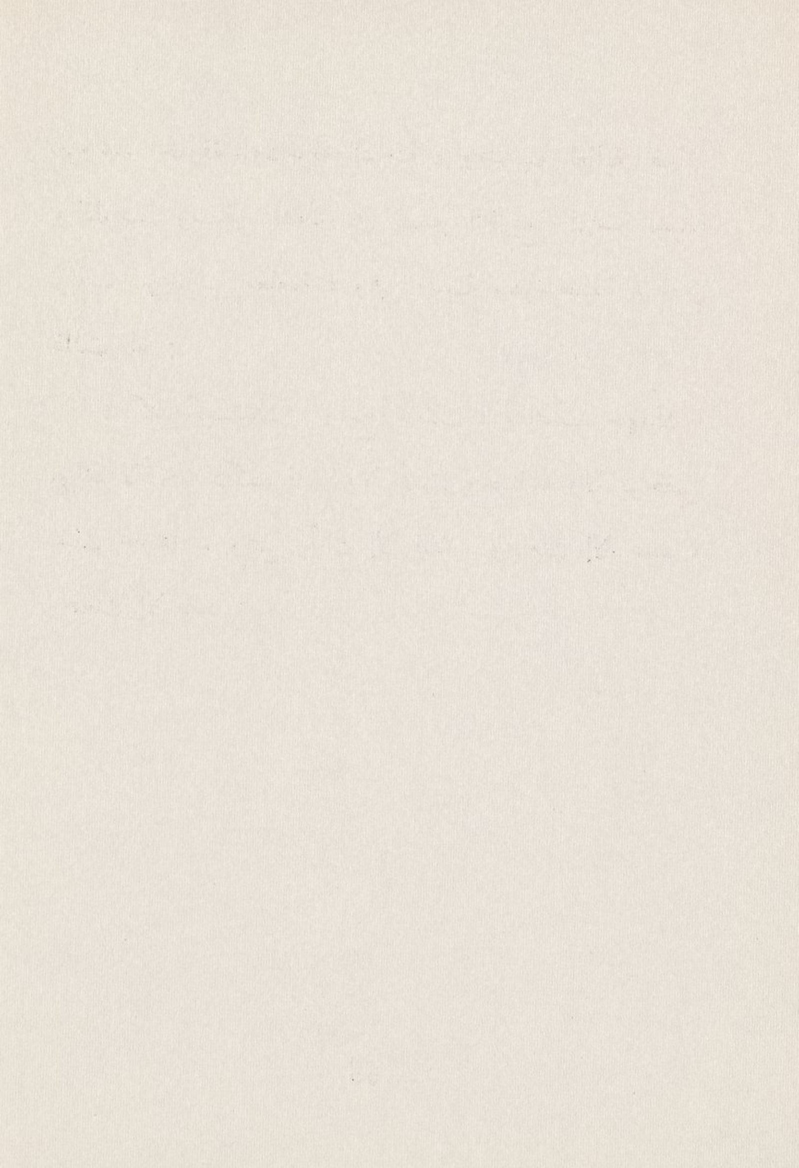
ومن أجل ان يضاف الى القناعة الفكرية بالعقيدة رباط عاطفي يضفي على القناعة الفكرية حرارة وقوة ومضاء في مواجهة الاضطهاد والصبر على الشدائد، ويحافظ على التماسك امام ضربات العنف، ويحيط الموقف العقلي بوهج عاطفي يرتفع بالعقيدة من مرتبة الحالة العقلية الى مرتبة الحالة الشعورية.

من اجل كل ذلك دعا اهل البيت الى نظم الشعر في الحسين وثورته، ودعوا الى احياء ذكراه.

وبعد، فهذا حديث عن ثورة الحسين في الواقع التاريخي وفي الوجدان الشعبي. وستبقى هذه الذكرى مثلا حياً يهز

بروعته الخارقة ، ودعوته السامية ، وفدائيته العالية الضمائر والقلوب ، وستبقى تدوي في ضمير التاريخ كلمات السيدة زينب ليزيد بن معاوية ، وهي سبية وهو خليفة ، حين قالت له :

« كد كيـدك ، واسع سعيك ، وناصب جهدك ، فوالله لاتمحو ذكـرنا ، ولا تميت وحينا ، ولا يرحض عنك عارها ، وهل رأيك إلا فند ، واايامك إلا عدد ، وجمعك إلا بدد » .



ملحق

ملاحظات حول الشيعة والذكرى الحسينية

كان الدكتور الشيخ صبحي الصالح قد ألقى خطابين بمناسبة ذكرى عاشوراء أحدهما في النادي الحسيني لجمعية هونين الخيرية في برج حمود وقد سمعت تسجيلا صوتياً له والآخر في الكلية الخيرية العاملية وقد نشر في جريدة الحياة وقد استوقفتني بعض آراء الدكتور واحكامه في خطابيه المذكورين ، فسجلت عليه بعض الملاحظات .

وقد حالت بعض الملابسات دون نشر هذه الملاحظات في ذلك الحين ، فآثرت أن تلحق بالحديث عن ثورة الحسين في الواقع التاريخي والوجدان الشعبي إتماماً للفائدة

بسم الله الرحمن الرحيم

قرأت مانشر في جريدة الحياة (العدد - ٧٠٥٠ - ٢٩ - آذار ١٩٦٩) من كلمة الأخ الدكتور الشيخ صبحي الصالح التى ألقاها في احتفال الكلية العاملية في يوم عاشوراء بمناسبة ذكرى الامام الحسين عليه السلام ، وسمعت خطابه الذي ألقاه في جمعية هونين الخيرية بالمناسبة نفسها ، فسرني منه غيرته البالغة على وحـــدة المسلمين وتضامنهم وتنمية علاقات المحبة بينهم .

غـــير انه اورد في خطابيه المذكورين آراء معينة في بعض الظواهر المتعلقة بالذكرى الحسينية ، وأصدر احكاماً لاتخلو في نظري من مآخذ أوردها فيما يلي ، احقاقاً لما أراه حقاً ، وانسجاماً مع ماقاله من انه سيخاطب العقل لا العاطفة :

١ - لقد أثار اخي الصالح في خطابيه التساؤل عما اذا كان الشيعة باحيائهم لذكرى الحسين في محرم من كل عام

يحصرون بطولة الحسين اكثر من جده النبي (ص) وأبيه علي (ع) .

ان الشيعة يا أخي يعظمون النبي محمداً (ص) والأئمة الاثني عشر (ع) لانهم معصومون ، ومن هنا فلا يجعلون عظمة الحسين وبطولته ناشئة من كونه شهيداً فقط ، وإنما من كونه إماماً بلغت حياته ذروتها في الشهادة .

وهم لذلك يحيون ذكريات جميع المعصومين : النبي (ص) والأئمة في مناسبات مولدهم ووفاتهم ، ويحيون ـ في العراق وايران وغيرهما ـ من سيرة النبي (ص) ذكرى مولده وبعثته ، ومسراه ، ومعراجه ، ومباهلته وهجرته ، وانتصارات الاسلام في عهده ، ووفاته .

وهم يعتقدون ان النبي (ص) هو افضل خلق الله جميعاً ، وهم يعتقدون ان فضل النبي على البشرية جميعاً لا يقاس به فضل أحد من الناس ، وان جهاد النبي لا يقاس به

جهاد أحد من الناس ، ومن هنا فان مصيبـــة المسلمين بالنبي أعظم من كل مصيبة ، ولكنها ـ بالتأكيد ـ ليست افجع ولا أبعث على الحزن من مصيبتهم بالحسين .

٢ ـ يبدو لي ان في قول اخي « وان التشيع بمدلوله التاريخي الصحيح المبرأ من الانحراف ... يتنزه عن الغلو في تقديس الأشخاص ... » اتهاماً ـ قد لايكون مقصوداً ـ للتشيع القائم فعلا بأنه غير مبرأ من الانحراف ، وان أتباعه يغالون في تقديس الأشخاص ، وهذا خطأ لا ارضى ان يقع فيه ، فان التشيع القائم فعلا هو الاسلام بكل صفاته ونقائه ، مأخوذاً من كتاب الله وسنـــة نبيه واهل البيت المعصومين الذين هم حفظـة الاسلام والباذلون في سبيله كل شيء .

ومن هنا فالشيعة أبعد مايكونون عن الغلو في تقديس الأشخاص ، وقد لعن الأئمة من أهل البيت الغلاة ، وحكموا

بخروجهم عن الاسلام ، ولذلك فقد حكم فقهاء الشيعة في كتبهم الفقهية الاستدلالية وفي كتبهم الموضوعة لعمل العوام بخروج الغلاة عن الاسلام .

وما يقال في مجالس الذكرى الحسينية وغيرها انما هو تاريخ مظالم بنى امية وبني العباس وأعوانهم في حق المسلمين وقادتهم الحقيقيين ، ولا يتظمن أي مظهر من مظاهر الغلو في تقديس الأشخاص .

٣ ـ لقـــد ذكر اخي في خطابيه أن الجيش الأموي تردد في ارتكاب الجريمة « وثارت فيهم النخوة الاسلامية (!!؟؟) رغم صدور الأوامر اليهم بقتل الحسين ، فكان الشاطر منهم يتفادى الحسين الحبيب ، يتفاداه كل واحد ، كل مسلم ، كل جنـدي ، حتى الذين اخذوا الأوامر من ابن زياد ، كانوا يهربون ، يخافون اذا رأوا وجه الحسين الحبيب ، كانوا يخافون ... لم يقتلوا ، يقتلوا ، هربوا ،

انتم لاتعرفون هذا ، ارجعوا قولوا لعلمائكم ، لبعض علمائكم على الأقل ان ينبهوكم على بعض الحقائق ... »

هل هذا هو الواقع التاريخي يا أخي . . ؟ اذا كان الأمر هكذا فمن ارتكب المذبحة ؟ متى تردد جيش بني أمية ؟ متى هرب الجيش الأموي ؟ ومن من المؤرخين ذكر هذا ؟

الحقيقة التاريخيـــة التي أظن أن أخي يعرفها هي أن الجيش الأموي بجميع رتبه ارتكب المذبحة الوحشية ونفذها ويحمل جريمتها الى آخر الدهر . بعد ان قتل جميع القادرين على القتال من الهاشميين وانصارهم ، وقتل كثير من الأطفال وفيهم طفل الحسين الرضيع ، وبعد ان عجز الحسين عن القتال ، وسقط صريعاً يعاني سكرات الموت كانت الأوامر تقضي بذبحه ، وقطع رأسه - مع رؤوس القتلى الباقين - ورض صدره وظهره بسنابك الخيل ، وقد نفذت هذه

التعليمات بكل دقة .

هذا هو الواقع التاريخي ، ولعلك تعرفه ، فأوثق المصادر التاريخية تذكر بتفصيل كبير ، أما ماذكرته أنت فلا نعرفه ولا سند تاريخي له على الاطلاق ...

ثم ، أهذه هي الحقائق التي تريد من جمهورك أن يرجع الى علمائه ليعرفها ؟ ألم تحاول أن توحي الى جمهورك أن علماءه يخفون عنه الحقائق ؟ . . هل هذه هي أخلاق العلم ، وأمانة العلم ؟

ان علماء الشيعة ياأخي لايخفون أية حقيقة ، وليست لديهم مصادر سرية للمعرفة يظهرون منها مايشاؤون ، ان مصادر المعرفة عندهم هي مصادر المعرفة عندك وعند غيرهم وغيرك من المسلمين .

لقد تعود علماء الشيعة ، عودهم دينهم الاسلامي وأمانة العلم أن يقولوا الحقيقة عارية وإن أوجعت ، وهم

يقولون عن كربلاء وعن أسبابها ونتائجها الحقيقة العارية ، ولا يريدون أن يكونوا ـ ولن يكونوا ـ وكلاء دفاع عن جلادي كربلاء وقياداتهم ، ولا يريدون أن يبرروا ـ ولن يبرروا ـ الحكم الأموي البربري .

٤ ـ وقلت ياأخي : « إن ذلك الصراع الذي صبه بنو أمية على ذوي قرباهم من بني هاشم قد لبس لبوساً سياسياً بل حزبياً وقبلياً ، وانه لايرقى بحال الى أن يكون نزاعاً جوهرياً . . » .

هكذا . . . صراع قبلي هو إذن موقف علي وموقف الحسن ، وموقف الحسين ، ومواقف أهل البيت ! ! وإذن فثورة الحسين وغيرها من مظاهر هذا الصراع « لاترقى إلى ان تكون نزاعاً جوهرياً » أهذه أمانة العلم يادكتور صبحي وأمانة الضمير وأمانة التاريخ . . ولا أزيد على هذا . .

٥ ـ وندم يزيد ، هل تصدقه أنت ؟ هل تصدق كل ماتجده في كتب التاريخ ؟ لقد قلت ياأخي عند معالجتك لهذه النقطة ان ابن الأثير ذكر ندم يزيد في الجزء الثاني من تاريخه ، ثم قلت « التاريخ لا أحد يستطيع أن يمحوه ، التاريخ موجود ، اكشفوا الحجاب عنه ، نحن نعلم التاريخ إذا كان غيرنا جاهلا » .

من . . ؟ علماء الشيعة الذين يخفون الحقائق طبعاً . .

أنا يا أخي من علماء الشيعة الذين يعلمون التاريخ أعود الى سؤلك : هل نصدق ان يزيد ندم على المذبحة في كربلاء هل تصدق ابن الأثير وغيره في كل ما اشتملت عليه كتبهم ؟ ألا تعرف عوامل الوضع والتزوير وعمليات التبرير في التاريخ؟ سلام على التحقيق العلمي والبحث الموضوعي .

ان يزيد ، يا أخي ، لم يندم ، لقد فرح وانتشى بالنصر كما يقول التحقيق التاريخي ، لقد وضع رأس الحسين

الشريف ، المضرج بالدم أمامه في مجلسه العام ، وأخذ ينكت شفتي الحسين بقضيبه ، وهو يتمثل بأبيات ابن الزبعرى في شأن معركة أحد ، ومنها :

ليت أشياخي ببدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل

ان يزيد الذي وجه بعد مذبحة كربلاء مسرف بن عقبة على رأس جيش الى الحجاز ، فاحتل المدينة ، وأباحها ثلاثة ايام ، حتى ولدت في تلك السنة ألف عذراء من غير زوج ، والذي استعرض الناس بالقتل ، وطلب من الباقين ان يبايعوه على انهم عبيد ليزيد بن معاوية (الطبري طبعة دار المعارف ٤ ـ ٣٦٦ ـ ٣٨٢) ان انساناً كهذا لم يتب ولم يندم يا أخي .

ولو سلمت معك أنه ندم ، فهل يعفيه الندم من جريمته وجريمة اعوانه ، هل يكفي ندم المجرم على الجريمة للغفران والرحمة ؟ إن هذا منطق في العدالة لانؤمن به ،

ولا اظنك تؤمن به .

٦ ـ واخـيراً أبو مخنف ، حين قرأت الشيخ يورد اسم (مقتل ابي مخنف) وحين سمعته يذكره تعجبت كثيراً فأبو مخنف راو يعتمد على رواياته في تاريخ صدر الاسلام لموضوعيته وتجرده ، ولكن روايات أبي مخنف شيء والمقتل المنسوب اليه ـ والذي اعتمد عليه الأخ الشيخ صبحي ـ شيء آخر .

فروايات أبي مخنف تؤخـذ من مصادرها ، وتخضع للنقـد العلمي والمقارنة ، واما كتاب « مقتل أبي مخنف » فهو كتاب ليست له قيمـة تاريخية على الاطلاق ، ولا يجوز لباحث موضوعي ان يعتمد على شيء منـه ، وهو ليس لأبي مخنف قطعاً ، ولا نعرف له مؤلفاً .

وانقل فيما يلي كلام البحاثة المحقق الشيخ عباس القمي في كتابه (الكنى والألقاب ج ١ ص ١٥٢) في ترجمة

أبي مخنف :

« .. وليعلم ان لأبي مخنف كتباً كثيرة . . منها كتاب مقتل الحسين (ع) الذي نقل منه أعاظم العلماء المتقدمين ، واعتمدوا عليه ، ولكن الأسف أنه فقد ولا يوجد منه نسخة ، وأما المقتل الذي بأيدينا وينسب اليه فليس له ، بل ولا لأحد من المؤرخين المعتمدين ، ومن أراد تصديق ذلك فليقابل مافي هذا المقتل وما نقل الطبري وغيره حتى يعلم ذلك » .

فهل يصح بعد هذا أن يجعل « المقتل المنسوب لأبي مخنف » مصدراً يبنى عليه حكم تاريخي ؟ أو ليس من الخليق بأخي الصالح أن يتثبت من مصادره قبل أن يصدر أحكامه ؟

٧ - بقي الحديث مع أخي عن الحزن والبكاء على الحسين ، وهو حديث لاتحتمله هذه العجالة ، وهو يحتاج الى تحليل تاريخي اجتماعي أتركه الآن لأعالجه في محاضرة آمل أن تتاح لي فرصة إذاعتها قريباً إن شاء الله .






Princeton University Library
32101 077922977